

Dirassat & Abhath

The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث

المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

ISSN: 1112-9751

مساهمة المرأة الحسانية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية بالصحراء: العمل الجمعي والتعاونيات نموذجاً

د. محمد الصافي

أكاديمية جهة كلميم واد نون - المملكة المغربية

مساهمة المرأة الحسانية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية بالصحراء:

العمل الجماعي والتعاونيات نموذجا

د. محمد الصافي

أكاديمية جهة كلميم واد نون - المملكة المغربية

. ملخص:

لقد شكل العمل الجماعي مجالا خصبا لاستقطاب المرأة وانخراطها فيه، وذلك بالنظر إلى ما يتيح هذا الأخير من إمكانات مهمة للفعل والمشاركة والاشتغال، وفي هذا السياق أقدمت المرأة الحسانية على الانخراط في العمل الجماعي بكل دينامية تبعا لميولاتها وانشغالاتها المتعددة الثقافية والاجتماعية والمهنية سواء إلى جانب الرجل أو انحصارا على رفيقاتها من النسوة.

بيد أن هذه الخيارات الجديدة أو الاتجاهات المتعددة التي اتخذها حضور المرأة الحسانية في العمل الجماعي ودينامية النسيج، والذي يعبر عن حركية تنامي وحيها الجماعي لم يكن لينحصر في مجال معين أو في ميدان خاص إلا عند بداية ظهور تأسيس الجمعيات، وهذا ما يفيد ويؤكد على أن اشتغال المرأة الحسانية قد هم مجموعة من المجالات المختلفة الثقافية والاجتماعية والرياضية والفنية والاقتصادية التنموية.

. الكلمات المفتاحية:

المرأة الحسانية، التنمية، الجمعية، التعاونية، الصحراء، الاقتصاد المحلي، الصناعة التقليدية.

- Résumé:

Le travail de l'association a été un terrain fertile pour attirer et engager les femmes, compte tenu du potentiel d'action, de participation et de travail des femmes dans ce contexte, les femmes d'Hassania ont rejoint le travail collectif de façon dynamique selon leurs préoccupations multiculturelles, sociales et professionnelles. Pour garder ses amis des femmes.

Cependant, ces nouvelles options ou les multiples directions prises par la présence des femmes Hassani dans le travail collectif et la dynamique du tissu, reflétant le mouvement de la conscience sociale grandissante, ne se limitent pas à un champ ou un champ spécifique sauf au début de l'établissement des associations. Les femmes d'Hassania sont un groupe de différents domaines de développement culturel, social, sportif, artistique et économique.

- Mots-clés:

Femmes d'Hassania, Développement, Association, Cooperative, Sahara, Economie locale, Artisanat.

. مقدمة:

وهكذا لم تبقى واجبات المرأة محصورة في أشغال المنزل أو البيت فحسب، بل تجاوزت ذلك إلى المشاركة في العمل العام بكل ميادينه وفي مختلف القطاعات الحكومية والشبه حكومية، فأضحت المرأة موظفة في بعض الإدارات وعاملة في بعض المصالح وناشطة في مختلف الجمعيات والهيئات، ومربية لا يستهان بها في بعض الرياضات والمدارس العامة والخاصة، من هنا أخذت المرأة تنتزع احترام المجتمع لها وتفرض حضورها في حياته الاجتماعية بشكل لافت للنظر.

لقد استطاعت المرأة الحسانية أن تستثمر إمكانياتها وقدراتها الاقتراحية الخلاقة، وذلك من خلال تكييف مجالاتها مع طبيعة اهتماماتها والأدوار التي كانت ولا تزال تلعبها في محيطها الاجتماعي، اعتبارا لكون المرأة عنصرا مهما يتقاسم الشأن الاقتصادي والتنموي مع الرجل بنوع من التوافق والاشتراك.

ومن منطلق تحسين الأوضاع المادية للمتعاونات بصفة خاصة والمرأة بصفة عامة ولجت المرأة الحسانية عالم المقولة في إشارة قوية إلى أن لها من الخبرة ما يكفي لتسيير الشأن التنموي المحلي إلى جانب الرجل، ورغم أن ذلك لا يزال في بداياته الأولى، إلا أن النماذج الحية على أرض الواقع تبرز النضج الذي أصبحت تتميز به المرأة داخل مجتمع الصحراء، والذي انعكس إيجابا على نفسياتها وتكوين شخصيتها تكوينا سليما تجاوزت من خلاله كل الطابوهات التي كانت تقف حاجزا أمام انخراطها في التأسيس لتنمية محلية مستدامة. إن موضوع المرأة ومساهمتها في التنمية هو موضوع راهن وحديث الساعة، ففي المغرب مثلا

لقد شكل العمل الجماعي مجالا خصبا لاستقطاب المرأة وانخراطها فيه، وذلك بالنظر إلى ما يتيح هذا الأخير من إمكانات مهمة للفعل والمشاركة والاشتغال، وفي هذا السياق أقدمت المرأة الحسانية على الانخراط في العمل الجماعي بكل دينامية تبعا لميولاتها وانشغالاتها المتعددة الثقافية والاجتماعية والمهنية سواء إلى جانب الرجل أو انحصارا على رفيقاتها من النسوة.

بيد أن هذه الخيارات الجديدة أو الاتجاهات المتعددة التي اتخذها حضور المرأة الحسانية في العمل الجماعي ودينامية النسيج، والذي يعبر عن حركية تنامي وعيها الجماعي لم يكن لينحصر في مجال معين أو في ميدان خاص إلا عند بداية ظهور تأسيس الجمعيات، وهذا ما يفيد ويؤكد على أن اشتغال المرأة الحسانية قد هم مجموعة من المجالات المختلفة الثقافية والاجتماعية والرياضية والفنية والاقتصادية التنموية.

ومما لا شك فيه أن اتساع دائرة انخراط ومشاركة المرأة الحسانية بالصحراء في العمل الجماعي والتعاوني قد صاحبه تنام ملحوظ في وعيها الاجتماعي، وهو ما مكنها من أن تضطلع بأدوار رائدة ومهمة في المجتمع الحساني، حيث تقوت بفعل ذلك مكانتها وتعزز حضورها بشكل أضحت فيه تتربع على عرش مختلف شرائحه، فالناظر في حجم وطبيعة هذه المشاركة يكتشف أنها كانت لها انعكاسات اجتماعية واقتصادية واضحة على حياة المرأة، سواء فيما يتعلق بواجبها تجاه بيتها وعائلتها خاصة، أو تجاه المجتمع الذي تنتمي إليه بشكل عام.

ترتفع الأصوات منذ مدة ليست باليسيرة تدعو إلى إشراك النساء في مسلسل التنمية الذي دخلته البلاد في العهد الجديد، وهكذا تتأطر الإشكالية العامة للبحث في الاجابة على التساؤلات التالية:

❖ ما طبيعة الأدوار التي لعبتها المرأة الحسانية؟

❖ ما هو حجم مساهمتها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية بالمنطقة؟ وما هي المجالات التي انخرطت فيها بشكل بارز؟

❖ ما انعكاسات مشاركتها في التنمية على حياتها وتطلعاتها المستقبلية؟

. تحديد المفاهيم :

نتوخى في هذا الشق النظري أن نبسط الجهاز المفاهيمي الذي سنتوسل به من أجل إنجاز هذا البحث، ومن أهم هذه المفاهيم نجد:

1 . مفهوم المرأة الحسانية:

يحظى تعريف المرأة الحسانية بأهمية بالغة في بحثنا، باعتباره مدخلا منهجيا ومعرفيا لا محيد عنه من أجل الإحاطة قدر الإمكان بدلالات ومعاني هذا التوصيف الثقافي والحضاري. وعليه فالمقصود بالمرأة الحسانية هي تلك المرأة التي تنتسب إلى قبائل بني حسان التي استوطنت المجال البيضاني الممتد من وادي نون إلى نهر السنغال جنوبا، ومن المحيط الأطلسي غربا إلى مالي شرقا خلال القرن الحادي عشر ميلادي⁽¹⁾.

إن المرأة الحسانية تتميز بخصوصيات تجعلها متفردة عن باقي قريناتها في بعض المناطق والاثنيات الأخرى المجاورة، وهو تميز واختلاف تظهر صوره بالواقع والملموس في بعض مظاهر حياتها سواء في حالتي الترحال أو الاستقرار، فضلا عن ملابسها وزينتها، وطبيعة الروابط التي

تجمعها بمحيطها (الزوج، الأبناء، القبيلة...)، فمكانتها داخل المجتمع تتأسس عرفيا على نظام قرابي اجتماعي وثقافي يحفظ حضورها ومشاركتها في تدبير شؤونها الداخلية والخارجية، مما يجعلها عنصرا فعلا يساهم في بناء وتماسك المجتمع الحساني وصون وحدته وظيفيا.

وبالنظر إلى هذه الأهمية والأدوار الطلائعية التي ظلت تلعبها المرأة الحسانية داخل محيطها الصحراوي الذي لم يلق العناية أو الاهتمام اللازمين من أجل الإحاطة بوضعيتها وتفاصيل حياتها في هذا المجتمع البدوي، فإننا أثرنا على أنفسنا التطرق إلى هذا الموضوع وإثارة النقاش حوله بغاية سد بعض النقص الدراسي الحاصل فيه.

2 . مفهوم التنمية:

هناك أكثر من اتجاه وأكثر من مفهوم يرتبط بكلمة التنمية، ولعلها جميعا تستخدم على نحو فيه من الغموض أكثر مما فيه من الوضوح، فلا نعرف حتى الآن تعريفا دقيقا واضح الأركان لهذا المصطلح المهم، الذي لم يعد من الممكن لأي من المشتغلين بالعلوم الاجتماعية تجاهله، أو أخذه مأخذا سطحيا متعجلا، ولكن لو بحثنا عن الجوانب المشتركة في كل التعريفات والمفاهيم المستخدمة لوجدنا أنها تتفق في الإشارة إلى بعض الظواهر الخاصة بالتغير الثقافي ونمو الدينامية الاقتصادية والاجتماعية. هذا ويعد مفهوم التنمية من أهم المفاهيم العالمية التي برزت في القرن العشرين بعد مخلفات الأزمة الاقتصادية لسنة 1929، والحربين العالميتين الأولى والثانية، وما خلفوه من خسائر على كل المستويات: الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، حيث قصد بمفهوم التنمية

على أنها عملية تأسيس نظم اقتصادية وسياسية متماسكة⁽²⁾.

يتحدد مفهوم التنمية لغويا حسب ابن منظور في كون التنمية "مشتقة من النماء، نما، ينمو، نموا... نميت الشيء أي زاد أكثر (...). ونميت النار إذ ألقيت عليها حطبا"⁽³⁾.

وقد ظهر مفهوم التنمية بداية في علم الاقتصاد، حيث استخدم للدلالة على عملية إحداث مجموعة من التغيرات الجذرية في مجتمع معين، يهدف إلى إكساب ذلك المجتمع القدرة على التطور الذاتي المستمر بمعدل يضمن التحسن المتزايد في نوعية الحياة لكل أفراده. ويعرفها الدكتور محمد محمود الجوهري بأنها "عملية تتطوي على توسيع حاسم في كل مجالات القدرات الإنسانية، والنشاط الإنساني، المجالات الروحية، الفكرية، التكنولوجية، الاقتصادية والمادية (...). ولا يجوز أن نقصرها مطلقا على النمو الاقتصادي، وإنما يجب أن تشمل كذلك وبشكل جوهري على تغير ثقافي عام وكذلك على تغيرات محددة في البناء الاجتماعي القائم"⁽⁴⁾. وهكذا فقد تطور مفهوم التنمية لاحقا فارتبط بالعديد من الحقول المعرفية، إذ أصبحنا نجد:

- التنمية الثقافية التي تسعى لرفع مستوى الثقافة في المجتمع وترقية الإنسان

- التنمية الاجتماعية التي تهدف إلى تنمية المجتمع باعتبارها السياق الذي يؤدي إلى رفع مستوى عيش السكان الذي يضم: التغذية، الصحة، العمل...

- التنمية المستدامة أو المستديمة تعني تنمية تستجيب لحاجيات الأجيال الراهنة دون تعريض مستقبل الأجيال اللاحقة للخطر.

- التنمية الاقتصادية تهدف "رفع الكفاية الإنتاجية ومستوى المعيشة لأكبر عدد ممكن من أبناء المجتمع"⁽⁵⁾.

يتضح من التعاريف السالفة الذكر أن التنمية هي عملية حضارية شاملة لمختلف أوجه النشاطات في المجتمع بما يحقق رفاهية الإنسان وكرامته، والتنمية أيضاً بناء للإنسان وتحرير له وتطوير لكفاءاته وإطلاق قدراته للعمل والبناء، فهي اكتشاف لموارد المجتمع وتنميتها والاستخدام الأمثل لها من أجل بناء الطاقة الإنتاجية القادرة على العطاء المستمر.

3. مفهوم الجمعية:

اصطلاحا هي: "جماعة من الأفراد المتقاربين من حيث الميول والغايات، تدفعهم الرغبة للقيام بنشاط معين كان موجودا من قبل أو غير موجود، لفائدتهم أو لفائدة مجتمعهم، في إطار من التعاون والتطوع وممارسة الأنشطة والعلاقات التي تقوم بها الجمعية تربويا، ثقافيا، فنيا، اجتماعيا ورياضيا، وهذا يؤدي إلى خلق ديناميكية ونشاط بين أفراد الجماعة لتحقيق الأهداف المسطرة"⁽⁶⁾، وهذا ما يضمن لهم الاستمرار والاستقرار.

قانونيا هي: "تعاقد بين شخصين في إطار تجمعي أدبي أو سياسي أو اقتصادي تتألف من أعضاء لعرض فكرة مشتركة"، ويعرفها المشرع المغربي في ظهير الحريات العامة الصادرة بتاريخ 15 نونبر 1958 حسب ما وقع تغييره وإتمامه في فصله الأول بما يلي: "الجمعية اتفاق لتحقيق تعاون مستمر بين شخصين أو عدة أشخاص لاستخدام معلوماتهم أو نشاطهم بغاية توزيع الأرباح فيما بينهم"⁽⁷⁾. وهو تعريف مستند من القانون الفرنسي الصادر في فاتح يوليو 1901

والخاص بالجمعيات، إلا أن القانون المغربي لم يشر صراحة إلى نوعية الشخصين أو مجموعة الأشخاص المكونين للجمعية في هذا الفصل الأول، هل هم طبيعيون أم اعتباريون، ولكنه في الفصل الرابع عشر من نفس القانون يشير إلى أنه يمكن للجمعيات المصرح بها أن تؤسس اتحادات وجامعات فيما بينها، غير أننا حينما نتكلم عن الجمعية فإننا نكون بصدد الحديث عن مستوى من المستويات العمل الجماعي وهو الجمعية كتنظيم وليس كمؤسسة.

فالجمعية يمكن أن تؤسس لمدة محدودة تنتهي بمجرد انتهاء المدة التي حددها المؤسسون لها، أو تؤسس لمدة غير محدودة حسب الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها، كما أنها يمكن أن تكون جمعية محلية، أو جهوية لها فروع في الجهة التي تنتمي إليها حسب التقسيم الإداري للجهات، أو أن تكون وطنية لها على الأقل خمسة فروع موزعة على مختلف أقاليم المملكة ويفوق عدد منخرطيه ألف عضو.

4. مفهوم التعاونية:

يمكن تعريف التعاونية بموجب الظهير الشريف رقم 1-83-226 المؤرخ بـ 9 محرم 1405 / 5 أكتوبر 1984، وقانون رقم 83-24 المتعلق بتحديد النظام الأساسي العام للتعاونيات أنها: "جماعة تتألف من أشخاص طبيعيين اتفقوا أن ينضم بعضهم إلى بعض لإنشاء مشروع يكون الغرض منه أن يتيح لهم وحدهم الحصول على المنتجات والخدمات التي هم في حاجة إليها، وللقيام بتسييره وإدارته وفق المبادئ الأساسية المحددة في الفصل الثاني، بغية بلوغ الأهداف

المنصوص عليها في الفصل الثالث من هذا القانون»⁽⁸⁾.

على هذا الأساس فالتعاونية هي إطار قانوني منظم وفق مبادئ وقوانين أساسية معينة، الغرض منه تحقيق أهداف من أجلها تم إنشاء وتأسيس هذا الإطار، ومنها تحسين الوضعية الاجتماعية والاقتصادية لأعضائها، ثم تشجيع روح التعاون لدى هؤلاء الأعضاء، بالإضافة إلى تحسين جودة المنتجات التي تقدمها التعاونية مع رفع قيمة الإنتاج إلى حد أقصى، ويخضع تأسيسها وإدارتها وتسييرها وحلها لأحكام هذا القانون وللنصوص التنظيمية المتعلقة بتطبيقه، وكذا للنظام الأساسي النموذجي الخاص بالصنف الذي تنتمي إليه.

ويمكن للأشخاص المعنويين الذين تتوفر فيهم الشروط المقررة في هذا القانون أن يصبحوا أعضاء في تعاونية، وألا يقل عددهم عن سبعة أشخاص سواء حين تأسيسها أو خلال وجودها، كما يجوز لكل متعاون أن ينسحب من التعاونية شرط ألا يلحق ضرراً بسيرها بسبب انسحابه في وقت غير ملائم.

4. مجال الدراسة:

في الموضوع الذي نبحث فيه سنشتغل على مساهمة المرأة الحسانية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية بالصحراء انطلاقاً من التركيز على رقعة جغرافية محددة هي الصحراء بجنوب المغرب وبالخصوص منطقتي تغجيجت وأسا التابعتين إدارياً إلى جهة كلميم واد نون. وعليه لا بد من إعطاء نظرة موجزة عن هاتين المنطقتين.

1. تغجيجت:

الجماعة القروية تغجيجت جزء من إقليم كلميم، تحد من الشمال بواسطة الجماعة القروية أداي ومن

2. أسا:

تقع آسا في الجنوب الشرقي لمنطقة واد نون في أقصى جنوب منطقة سوس على بعد 110 كلم عن مدينة كلميم⁽¹⁰⁾، وتنتمي من الناحية الطبيعية لحوض درعة، وتحدها من الشمال والشمال الغربي جبال الأطلس الصغير، ومن الجنوب والجنوب الغربي حمادة تندوف وجبال الواركيز، وشرقا حمادة درعة، أما بنيتها التضاريسية فيغلب عليها الطابع الهضبي. ويمكن تقسيم موقعها الجغرافي إلى أربع وحدات رئيسية هي:

. الوحدة الشمالية: تتميز بجبال متوسطة الارتفاع في الشمال والشمال الغربي . الوحدة أو الكتلة الهضبية الشرقية: تتكون من الحمادات، وهي هضاب منخفضة ومسطحة تتراوح ارتفاعاتها ما بين 500 و 1000 متر . الأعراف الممتدة في الجنوب الغربي: تشكلها جبال الواركيز، تتميز بارتفاعات متوسطة تتخذ شكلا عرضيا من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي.

. منخفض أسا: يتخذ شكل شريط ضيق من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، أي بين كتلة الأطلس الصغير وحمادة درعة وتندوف. ومما تجب الإشارة إليه أن أصل تسمية أسا حسب ما تتفق عليه الرواية الشفوية إنما يعود لاستقرار قبيلة أيتوسا بها، أي اشتقاق كلمة أسا من لفظة أيتوسا، ورغم نسيية هذه الرواية فإننا نلمح التقارب الصوتي الواضح بينهما. وتكتب "اسة، اسى، أسا" سواء في الوثائق المحلية أو في بعض مؤلفات المختار السوسي، وقد ذكرت سنة 1798 على خريطة Renel تحت اسم SUKASSA، والمؤكد أنها أقدم من هذا التاريخ بكثير، فهي موغلة في

الشمال الشرقي بإقليم طاطا، وجنوبا بإقليم أسا الزاك، ومن الشمال الغربي بالجماعة القروية إفران الأطلس الصغير، وغربا بالجماعة القروية تيمولاي، ومن الجنوب الغربي بالجماعة القروية فاصك. تغطي هذه الجماعة المحدثة في سنة 1961 مساحة تناهز 138.500 هكتار، وتخضع إداريا لعمالة إقليم كلميم ودائرة بويزكارن وقيادة تعجيجت. تعرضت الحدود الإدارية لتعجيجت لتعديل خلال التقطيع الإداري لسنة 1992 وخاصة بعد ربط دواوير مشيخة آيت اغرمان، المنتمية حينئذ لتعجيجت إلى الجماعة المحدثة المجاورة تيمولاي، وهي عبارة عن منطقة وصل بين الساكنة الأمازيغية والحسانية، ومنطقة تعايش ومزيج قبلي بين إد ابراهيم وأيتوسا، فاستطاعت بالتالي الجماعة القروية أن تحافظ خلال حقبة طويلة من الزمن على التعايش والتكامل بين أسلوبين من تدبير المجال وهما الفلاحة في الواحة والرعي، وبذلك تحتوي المنطقة على مهارات وتجارب وتقاليد لا تحصى يجدر تثمينها.

من الناحية التاريخية شكلت الجماعة القروية خلال حقبة من الزمن عاصمة لكونفدرالية تكنة⁽⁹⁾، لعبت دورا مهما في التنمية الاجتماعية والاقتصادية لمنطقة واد نون، أصبح هذا الدور يتلاشى بسبب تأثير عدة عوامل اقتصادية واجتماعية ومؤسسية. رغم ذلك تتوفر هذه المنطقة التي تركز مباشرة على السفح الجنوبي للأطلس الصغير، على ثروات طبيعية وتاريخية وبشرية وثقافية، إذا تم تثمينها يمكن أن تشكل رافعة للتنمية بهذه الجماعة، بالإضافة إلى تاريخها ومناظرها وواحاتها وإمكانياتها ومميزاتها الاجتماعية والثقافية، فهي تتيح إطارا ملائما من أجل تنمية محلية منسجمة ومحافظة على البيئة.

القدم، إذ كانت تقام بها سوق موسمية يطلق عليها "عيد الأكيال"، بحيث كان القرطاجيون يتبادلون السلع ويفرغون ما بمراكبهم من بضائع (الممر، الفخار المصري، الأواني الخزفية،...).

وقد كان يطلق على الواحة من قبل "بلاد إذا وكيس" نسبة إلى العنصر السكاني الأول الذي استقر بها، والذي ما زالت تشهد عليه أنقاض "أدروم" حوالي 2 كلم شمال أسا، وتيزكي الرمت حول وادي أسا، فإذا وكيس الوثنيين و"فنيكس" المسيحيين قطنوا باني الغربي حتى مجيء عرب معقل خلال القرنين 12 و13م، فحطموا قصر الوثنيين بأدروم وطردوا المسيحيين من تيزكي سلام بقم الحصن⁽¹¹⁾.

لقد شكلت المنطقة بفضل أهمية موقعها التجاري بين مسالك الصحراء والمسالك الأطلسية محط أنظار العديد من الأعلام التاريخية المهمة، ففي سنة 130هـ/748م تسجل مدونة زاوية أسا استقرار أول علم إسلامي بها، هو سيدي أحمد الشبكي الذي استقر بتكررات على أمل استجابة إذا وكيس لندائه بدخول الدين الجديد، وقبل ثلاث سنوات من وصول سيدي أحمد الشبكي قام عبد الرحمن بن حبيب عامل إفريقية بحفر مجموعة من الآبار، ولعل أقربها إلى أسا هو بئر الجمالين كما سماه البكري⁽¹²⁾، ويقع بمنطقة جبلية تسمى أزرو، وتبعد عن تامدولت بمسافة يوم واحد.

. الواقع السوسيو ثقافي وحجم تأثير النظام التقليدي لنساء تغجيجت:

تتضمن الجماعة القروية لتغجيجت ساكنة عربية وأمازيغية، وهي تتموقع في موقع جغرافي يمنحها تراثا ثقافيا وتاريخيا غنيا ومتنوعا، هذا اللاتجانس يفسر تنوع الوضعية المميزة للساكنة وخاصة

النساء، فمع التغيرات السوسيو اقتصادية تجد النساء أنفسهن مجبرات للعمل والمشاركة في نفقات الأسرة⁽¹³⁾، فقد خضعت علاقات النوع لتأثير هذه العوامل التاريخية، الاجتماعية والدينية. ومع الهجرة القوية الرجالية فإن وضعية النساء تتطور داخل الأسرة، فالهجرة الرجالية مهمة في كل دوار، وتظل النساء في الغالب الأعم في أمكنتهن، يرحل الرجال لمدد طويلة، تتراوح ما بين بضعة شهور إلى سنة تقريبا. وبفعل الهجرة تلعب النساء دورا مهما على مستوى الأسر: فهن يدبرن وحدهن طوال الجزء الكبير من السنة أسرا من عشرات الأشخاص، وتضمن لهم التغذية على الخصوص، وفي غياب أزواجهن أو آبائهن، يكن مضطرات كذلك للقيام بالمهام التقليدية الموكولة للرجال. ومع ذلك تظل حياتهن محكومة من طرف الرجال، فليس لأي امرأة دور تمثيلي في تغجيجت ولا تشارك في اتخاذ القرار المتعلق بالجماعة.

1. الواقع السوسيو ثقافي:

يضع النظام الأبوي المهيمن المرأة في وضعية تبعية للرجل، فالمرأة مثقلة بالأشغال، (الأشغال المنزلية، أشغال الحقل وتربية الماشية في الاستغلالية الأسرية، الأشغال الثانوية من أجل حاجاتها الخاصة وحاجات عائلتها)، فالمرأة خاضعة لضغط اجتماعي قوي، فهي مطالبة في ظل وضعية التبعية هذه بالانضباط للقواعد الاجتماعية.

وفي هذه الجماعات حيث يكون الرجل في وضعية هيمنة، فهو يتحمل مسؤولية الأسرة، وهكذا فهو يتخذ القرارات المهمة، يضمن التدبير الاقتصادي للأسرة خصوصا تدبير الانتاجات المعاشية والزراعات التسويقية، إنه يشارك في اتخاذ القرارات الجماعية ويقوم بدور الوسيط مع العالم الخارجي.

كما أن الانتماء إلى نفس فئة السن يخلق روابط جد قوية بين الأفراد، يشكل في كل دوار الذين ينتمون إلى نفس الفئة العمرية مجموعات عمل، وينظمون احتفالات ويتعاونون فيما بينهم، وتعتبر النساء على الخصوص ديناميات داخل هذه المجموعات العمرية، فهن يتكفن بالأحداث الاجتماعية (الزواج، الولادة، الختان)، فالمنطقة تطرح ذاتها كمجتمع محلي ذي تقاليد وبنية اجتماعية مقننة. وتستمر الروابط الإثنية القبلية، لكن علاقات التعاون والتضامن التقليدية لم تنجح في التكيف مع تطور الحاجات، إذ ظهرت شبكات جديدة للتضامن الاجتماعي مثل الجمعيات والتعاونيات الخاصة بالنساء، وقد أتاحت هذه الشبكات حدوث انصهار كبير بين مختلف المجموعات والفئات الاجتماعية. وتعترف المجتمعات التقليدية بسيادة الرجل، لكن هذه الوضعية تبقى مع ذلك جد نسبية ومتغيرة بتغير الإثنيات، وتتميز وضعية اللامساواة هذه في الوقت الراهن بتغيرات عميقة ناتجة عن الوعي بمكانة النساء داخل المجتمع، تترسخ هذه التحولات على مستوى المعيش الاجتماعي ويتم إدراكها بشكل مختلف بين النساء والرجال، وتوجد صعوبات حقيقية تعترض تثمين التكامل بين الرجال والنساء، فالرجال هم على العموم تحفظا تجاه التغيرات على مستوى السلوك، والنساء من جانبهن ليست لديهن الثقة دائما في أنفسهن من أجل أن تتاح لهن فرصة إضفاء قيمة على صورتهم والدفع بسكة التغيير.

2. حجم تأثير النظام التقليدي:

ما يزال تأثير النظام التقليدي للمرأة قويا اليوم، رغم ما يحدث من تطورات عميقة. ففي مجتمع تغجبت تتميز نساء بعض الجماعات المستفيدة بحياة خالية نسبيا من التزامات العمل خارج إطار المهام

المنزلية، في حين أن نساء جماعات أخرى إضافة إلى الأشغال الأسرية، ينخرطن مباشرة في مهام الإنتاج (أشغال فلاحية، الرعي، التزود بالماء) مقابل أيام عمل طويلة وشاقة.

في هذا المجتمع المحلي تملك المرأة شخصا الإرث الذي تتسلمه لحظة زواجها وكل ملكية تعطى لها شخصيا، فيمكنها من حيث المبدأ أن تتصرف في ذلك حسب رغبتها وأن تستعيده في حالة الطلاق، فعبر الزواج تدخل المرأة إلى الأسرة الممتدة لزوجها، والتي تكون مطالبة بمواجهتها بعملها وباستدامتها بأولادها⁽¹⁴⁾.

لقد عززت التحولات التي مست أنماط الحياة خلال العقود الثلاثة الماضية مكانة النساء داخل المجتمع، وبشكل خاص بفعل الدور الاقتصادي الذي يضاف إلى التدبير المنزلي، وللذين تكون النساء مطالبة بالقيام بهما، وبفعل ارتفاع عدد الأسر الواحدة (الأب/الأم)، فعدد من الأسر تتحمل مسؤوليتها على الأقل مؤقتا نساء، وقد أدى ذلك إلى ظهور عمل مقاولاتي نسائي في القطاع غير المهيكل والالتزام المتزايد للنساء في الأنشطة التجارية الصغرى، وعزز التقدم الحاصل في التمدرس حركة استثمار النساء في الحياة النشيطة.

. انخرط نساء تغجبت في مسلسل التنمية الاقتصادية:

تقوم النساء في تغجبت بإعالة الأسرة، وتلعب أيضا دورا أساسيا في الفلاحة، والصناعة التقليدية والتجارة، فالمرأة مربية للأطفال، مستشارة ويتم الاستماع إليها حتى ولو كان الرجل يلعب دورا عاما وتظل هي في الفضاء الخاص، يوجد اختلال في اقتسام الأدوار، مفروض على الرجل بأن ينهض اقتصاديا بحاجات الأسرة، وبينما تحصر المرأة في

أدوار الإنجاب وإعادة الإنتاج، والتي لا تمنح لها أي قيمة تجارية، لكن من الملائم الاعتراف بقوة العمل التي تمثلها النساء والأطفال في اقتصاد الأسر.

1. اقتصاد الأسر:

تقليدياً تفرض المهام المنزلية على النساء، تحسن تخفيف عبء العمل المنزلي بفضل التكنولوجيا (مطحنة الحبوب، مضخة الماء، عجلة نقل)، لكن ما تزال الأعمال المرهقة تثقل على وقت النساء، ويلاحظ اختلال عميق بين ميزانية الزمن عند النساء وعند الرجال، وتحليل الطريقة التي يستعمل بها النساء والرجال وقتهم/هن، يمكن إدراك الترابط الموجود بين اقتصاد السوق واقتصاد البيت.

تعتبر النساء أن الوقت الذي يخصصه للأشغال المنزلية (المطبخ، رعاية الأطفال، التزود بالماء) يتم على حساب أنشطة الإنتاج، وبالفعل تشغل الأنشطة المنزلية زمن النساء وتشكل حملاً شاقاً. كما أن النساء معنيات بشكل خاص بتأمين الطعام، فقد أصبح للنساء تحكم كبير جداً في وسائل العيش وفي إنتاج الحبوب بفعل هجرة الرجال والتغيرات التي تطال أنظمة الإنتاج⁽¹⁵⁾. إن الهشاشة الكبيرة التي توجد فيها النساء مرتبطة بضعف إنتاجية الفلاحة، وبالخصائص الحاد الراجع للعوامل المناخية (الجفاف)، وعدم الاستقرار الموسمي، وتقلبات الأثمان غير المتحكم فيها.

وبفعل سيادة التعامل بالنقود، الهجرة، تحولات أنظمة الإنتاج والانخراط القوي جداً للنساء في الأنشطة المدرة للدخل، بدأت تلعب النساء دوراً أكبر في اقتصاد الأسر، فمساهمة النساء في الاقتصاد التي كانت حتى الآن غير مرئية، أصبحت مرئية بفضل انخراطهن على مستوى القدرة على الفعل التي تكشف عنها النساء وتوزيع الأدوار بين الرجال

والنساء. وبالنظر لهذه التغيرات السوسيو اقتصادية، فإن المرأة أصبحت موضوع عناية كبيرة، وفي موقع مسؤولية، تتمتع النساء باستقلالية على مستوى تدبير ممتلكاتهن.

كما تملك النساء ممتلكات خاصة (ماشية، حلي، سكن، أشجار نخيل) مكتسبة بواسطة الإرث أو مهدية عند الزواج، ويتم تدبير هذه الممتلكات الشخصية من طرف المرأة ذاتها، إذ تستعمل في الحالة التي تعترض الأسرة صعوبات أو من أجل مواجهة التزامات اجتماعية (زواج، عقيقة)، يعتقد غالبية الأشخاص المبحوثين خلال الدراسة أن مساهمة النساء في دخل الأسرة هي في تزايد، يرجع ذلك إلى عوامل عدة منها الهجرة، وتعتبر هجرة ساكنة تعجبت ظاهرة قديمة جداً، وخاصة سوسيو ثقافية لهذه الجماعة، إن المنطقة هي تقليدياً منطقة هجرة، لكن مع الجفاف المتتالي والتغيرات السوسيو اقتصادية، ظاهرة الهجرة تسارعت ومست مناطق قروية أخرى، وأوساط سوسيو ثقافية أخرى، وترجع أسباب الهجرة بالنسبة للسكان المبحوثين، إلى الجفاف والفقر المتزايد. ويبرز تحليل الهجرة أن مساهمة المهاجرين هي معبرة جداً على مستويين:

✓ زيادة وانتظام مداخيل الأسر

✓ توسيع نطاق البنيات التحتية السوسيو ثقافية الأساسية

وفي هذا الصدد تحد الهجرة من الفقر وتتيح تحسين شروط عيش النساء والأطفال الذين يظلون في الدواوير، ومع ذلك فللهجرة تأثيرات سلبية تمس النساء أكثر من الرجال، فهي تؤدي إلى زيادة العمل ومسؤوليات بالنسبة للنساء دون أن يتغير وضعهن الاجتماعي، إذ تظل النساء غالباً تحت تحكم أخ، أب أو قريب للزوج، وتخضع بالتالي لثقل نفسي

اجتماعي للفصل، ويضاعف تعليم الأطفال وتحمل مسؤولية الأشخاص المسنين المفروضين على النساء فقط مسؤولياتهن.

تواكب الهجرة انخفاض الإنتاجية داخل الاستغاليات العائلية، فالمرأة هناك لها قدرة وفرصا قليلة من أجل تعبئة اليد العاملة والمواد الدولية، كون التبعية النقدية الخارجية هي إذن جد قوية ومصدر للهشاشة في حالة التوقف المفاجئ للهجرة. وإذا كانت الهجرة في تغجيجت لزمن طويل ظاهرة ذكورية، يلاحظ اليوم رحيل النساء خصوصا الشابات نحو المدن بحثا عن عمل غير مضمون، يضعهن في وضعيات هشاشة كبيرة، فالتجمعات العائلية في إطار الهجرة العالمية، تؤدي إلى هجرة كل الأسرة مع إقامات نهائية.

تفسر الهجرة بالتأكيد مساهمة المرأة التي تزداد أهمية أكثر فأكثر داخل الأسرة، لكن من الملائم أيضا إدراجها داخل تحليل أشمل لتدهور شروط الوجود: تكلفة المعيشة وانخفاض القدرة الشرائية، وتزايد الحاجات، تجعل مشاركة النساء داخل الأسر في تصاعد مستمر.

2. مساهمة النساء في الاقتصاد المحلي:

أنشطة النساء متعددة في غياب لأزواجهن، هن مجبرات على القيام بالأشغال المنزلية التي تتضاف إليها الأنشطة الإنتاجية والتحويلية، فعلى مستوى الأشغال المنزلية، ينبغي على النساء رعاية البيت، غسل الأواني، إعداد الطعام، الاهتمام بالأطفال، وتتضاف إلى هذه الأشغال المتعددة مهام أخرى ترتبط بمجالات مختلفة. فيمكنها أن تكون انتاجية فقط: الفلاحة، تربية الماشية أو جني الثمار، لكن يمكن أن تكون أيضا تحويلية بعضها تنجزها النساء حصريا، والبعض الآخر يمكن أن تنجز من طرف

الرجال (في حالة التي يكون فيها حضور ذكوري داخل الأسرة).

تتطور مختلف هذه الأنشطة حسب الموسم، فخلال الفترات التي لا تعرف أنشطة مكثفة، تتمسك النساء بالقيام بغالبية أنشطتهن صباحا من أجل التفرغ خلال فترة منتصف النهار، فيمكنهن إذن أن يقتطعن وقتا لأنفسهن. ومع ذلك يتغير توالي الأيام في بعض الفترات التي تتميز بإنجاز بعض الأشغال (حصاد الزرع وجني النباتات العطرية)، فالأيام هي إذن شبه مستمرة ومخصصة بشكل حصري تقريبا للحصاد أو للجني، وتمثل هذه الفترات المثقلة بالأشغال حوالي ثلث السنة. ونسجل بأن مجموع الأشغال المنجزة من طرف النساء خارج تلك التي تندرج ضمن الأنشطة الجموعية، لا يتم اعتبارها اجتماعيا، وبالفعل تجيب المرأة أنها "لا تقوم بأي شيء" عندما تسأل عن أنشطتهن.

3. انخراط نساء تغجيجت في الصناعة التقليدية:

كانت الصناعة التقليدية تمارس في الماضي من طرف فئات اجتماعية خصوصا الحدادين والاسكافيين، ثم النساجة، وقد ظل هذا النشاط جد بدائي بإنتاجات محدودة ومنافذ ضعيفة، وقد مارست عدة مجموعات هذه الصناعة التقليدية، وأهم الأنشطة الممارسة من قبل نساء تغجيجت في هذا القطاع هي: نسج الحصائر وصناعة السلال، الخزف، الخياطة وصناعة الزرابي.

إن أنشطة الصناعة التقليدية الممارسة بطريقة شخصية هي صناعة السلال ونسج الزرابي، وتخصص المنتجات غالبا للاستعمال الخاص للأسر، لكن يتم بيعها أحيانا، وهكذا فصناعة سلة تمثل شهرين من العمل (زمن جد جزئي، وفي الصيف خصوصا)، وتباع على مستوى الدوار بثمن

يتراوح ما بين 100 و 200 درهم حسب الحجم، ومن أجل صناعة زربية، يدفع كمقابل لليد العاملة 300 درهم، وتحقق النساء أحيانا منتوجات أخرى من الصناعة التقليدية، لكن في إطار جمعيات⁽¹⁶⁾.
 عموما فالنساء حاضرات في هذا القطاع القليل الإنتاجية، وأهم المشاكل التي أثارته النساء الممارسات للصناعة التقليدية هي: صعوبات التزود بالمواد الأولية (غياب مركز للشراء)، الثمن المرتفع والمتقلب للمنتوجات والمواد الأولية، انعدام وسائل التمويل رغم المبادرات غير المهيكلية، ضعف تغطية القروض الصغرى المهيكلية خصوصا في الدواوير البعيدة عن المركز، مشاكل الزواج والتسويق الراجعة الى ضعف جودة المنتوجات، ضالة السوق المحلي أو الوطني، غياب التنظيم، ونقص في الفرص والدعم (أسواق ومنافذ أخرى)، المنافسة مع المنتوجات الصناعية الأقل ثمنا (حصائر صناعية).

وهكذا تقبع الصناعات التقليدية في غالب الأحيان في الظل، بحيث تنتج لكن لا يسوقن منتوجاتهن بتاتا إلا استثناء، يتكلف الرجال بذلك، وهنا تكمن القيمة المضافة، حيث أن جميع الأرباح تمر عبر الدور الذي يلعبه الوسطاء، لا يوازي هامش الربح في أي من الأحوال ثمن اليد العاملة.

من جهة أخرى إذا افترضنا إمكانية حقيقية للتنمية فإن ذلك لن يكون ممكنا دون مساهمة نساء المناطق المعنية، بحيث رغم كونهن غائبات ظاهريا فالنساء حاضرات في كل الأنشطة التي تهم المجموعة الاجتماعية والأسرية التي ينتمين إليها، فالنساء يقمن بالأنشطة الفلاحية، ويصنعن الزرابي والأغطية وأواني الفخار وجميع الأشياء

سواء للاستعمال المنزلي العائلي أو من أجل التسويق⁽¹⁷⁾.

. ظهور الجمعيات من أجل تحسين ظروف النساء بتعجيجت:

ظهرت أشكال جديدة من التنظيم الاجتماعي لمواجهة هذه الوضعيات المتناقضة، ومن أجل تجاوز الصعوبات التي تواجه النساء، وهكذا تكاثرت الحركات الجمعوية، فأتاحت تقديم بعض المساعدة، وخصوصا الولوج إلى الإعلام والتكوين.

ويلاحظ في البداية نوع من الميل الحديث نحو تنمية الحركة الجمعوية، إذ يركز الممولون على مطالب جديدة، خصوصا إدماج النساء في مشاريع التنمية وتنظيم المجتمع المدني، حيث يعتبر خلق الجمعية شرط أساسي من أجل تلقي الدعم، ويفسر ذلك إرادة التجمعات النسائية في الانتظام في إطار جمعيات. والممولون هم إما القطاع العام (المديرية الإقليمية للفلاحة، وكالة التنمية الاجتماعية، التعاون الوطني) أو منظمات غير حكومية محلية أو دولية، ويستفيد خلق الجمعية في الغالب من مساندة الرجال، إذ يشجع الرجال نساءهم على الاستفادة من دروس محاربة الأمية، ويساعدونهن على تهئى الملفات الإدارية أو على الاتصال بالمنظمات الممولة، ويلعبون في الغالب كذلك دور جسر بين المدينة والدوار المعزول.

وتتمثل أهداف الجمعيات في تحسين الوضعية الاقتصادية والاجتماعية للمرأة القروية وفي إدماج المرأة في التنمية القروية (خصوصا في إطار مدونة الأسرة)، وتتيح الأنشطة التي تقوم بها الجمعية توفير مداخل للمرأة. ولم تتلقى النساء تكويننا خاصا من أجل تحسين شبكاتهن التسويقية، إذ من المهم إضفاء قيمة على بعض المنتوجات الخاصة، ولهذا

ينبغي على النساء امتلاك وعي بنمط الزبون الواجب استهدافه وبالتعديلات الضرورية الواجب اعتمادها. كما تستهدف الجمعيات تمكين النساء من الولوج إلى الخبرة عبر تقوية قدراتهن، لكن بالأخص الولوج إلى الأدوات (آلات الحياكة والخياطة)، وتكتسي بعض أنشطة الجمعيات طابع الخصوصية، تبعا من جهة للفرص التي يتيحها الوسط (ظروف فلاحية - بيئية خاصة) ثم حسب البيئة السوسيو - اقتصادية (الزمن المتاح من أجل تثمين بعض المنتجات، وجود سوق أو نقطة بيع قريبة...)، ويترتب عن الأنشطة الجمعية نمطين من الآثار: هناك أثر اجتماعي أولا، حيث تستفيد النساء من القيمة التي يتم إضفاؤها على عملهن، إذ يشاركن هكذا في خلق دخل الأسرة ويستقدن بالتالي من نوع من الاستقلالية المالية، ويشعرن كذلك بأن لهن اعتبار لدى الرجال الذين يشجعونهن، والأكثر من ذلك يتمكن من الولوج إلى الإعلام وإلى التكوين من خلال تبادل المعارف والخبرات، لأنه يتيح لهن توسيع مستوى كفاءاتهن، ولهذا الاعتبار يتقوى التعاون والروابط الاجتماعية، ومن وجهة نظر اقتصادية التأثير بالأحرى ضعيف: هناك القليل من المنافذ بالنسبة لمنتجات الصناعة التقليدية مثل التطريز والحياكة أو الخياطة، كما لا تعرف النساء كيف تضيفن قيمة على منتجاتهن.

وتعد الاستراتيجيات الجماعية التي تعكس أهمية الرأسمال الاجتماعي⁽¹⁸⁾، عاملا مهما في تقليص الهشاشة، وتشارك النساء المعيلات للأسر أكثر من غيرهن في التنظيمات الجماعية التي تشكل نوعا من الحصانة ضد التهميش والاقصاء، وخلال البحث أقرت النساء بأهمية التعاونيات كوسيلة من أجل تجاوز وضعيتهن الدونية، ويبدو أن هذه التنظيمات

تقدم ذاتها كبديل أو على الأقل كمكمل لروابط التضامن التقليدية، على اعتبار أن النظام القبلي التقليدي القائم على التعاون تعرض للتفكك ولم يعد يؤدي وظيفته.

وقد طورت الساكنة أشكال تنظيم التعاون والتضامن من أجل مواجهة المخاطر الاقتصادية ويهدف تقوية تماسكها الاجتماعي، وبدأت تجتجبت تشهد بروز نسيج جماعي، تعاوني وتعاضدي، يهيكل ذاته ويحقق استقلاليته بشكل تدريجي، وتنتج التعاونيات نحو التكتل خصوصا في العلاقة مع المشاريع التنموية، من أجل إنجاز أنشطة اقتصادية وتقوية إطار التضامن التقليدي.

ورغم تطور عدد التعاونيات النسوية، فإنها لم تصل بعد إلى تنفيذ الأهداف التي سطرته، وترجع الأسباب الأساسية إلى ميل هذه التعاونيات وتحولها إلى نوع من التنظيمات المجزأة والمحدودة في الدوار أو في إطار عائلي موسع، كونها ليست لديها جميعا المؤهلات الضرورية من أجل تطوير استراتيجيات فعلية ومستقلة للمشاركة في سيرورات اتخاذ القرار على المستوى الجماعي.

. حضور المرأة الحسانية من خلال العمل الجماعي والتعاونيات بأسا:

يعتبر العمل الجماعي والتعاوني بمنطقة أسا من أهم المجالات التي استقطبت المرأة للمشاركة والفعل في الجانب التنموي، حيث انصبت جهودها على تأسيس عدد من الجمعيات والتعاونيات النسوية التي عززت حضورها في المنطقة وبالتالي داخل مجتمعا المحلي.

وسنحاول في هذا الفصل معالجة طبيعة وتمظهرات هذا الحضور النسوي من خلال تقسيم هذا الفصل إلى مبحثين أساسيين، سنركز في

وتركزت أساسا في بعض المجالات المحدودة، وظلت محصورة فيها لمدة طويلة، قبل أن تأخذ في اتجاه التنوع والتعدد بما يستجيب لانتظاراتها وانشغالاتها وظروف وحاجيات المرحلة التي تنتمي إليها. وفي هذا السياق بدأت تتحدد مشاركتها في العمل الجماعي عبر الاتجاهات التالية:

* اتجاه الجمعيات الذكورية: حيث ساهمت إما في تأسيس بعض الجمعيات إلى جانب الرجل، أو الانخراط فيها والاشتغال بها تحت وصاية أقرانها الذكور، وهكذا تقلدت مناصب العضوية في مكاتبها وإن كانت طبيعة هذه العضوية لا تتعدى الجانب الاستشاري وفي أحسن الحالات النيابي (كنائبة للرئيس أو الكاتب العام أو أمين المال، أو نيابة بعض اللجان التنظيمية في بعض الجمعيات)، أو الاضطلاع بدور "مقدمة" لبعض الأنشطة والملتقيات الثقافية وغيرها، وهذا ما يعني أن حضورها في هذه المرحلة يظل ثانويا وعابرا، لكنه بفعل التراكم النوعي سيشكل محطة لانطلاقتها وبروز مشاركتها التي ستتنامى لاحقا.

* اتجاه النوادي: إذ عملت المرأة الحسانية بأسا على استثمار بعض الفرص التي كانت تتيحها بعض الجمعيات لتأسيس بعض النوادي داخلها من أجل الاشتغال فيها، مثل نادي المرأة ونادي الطفل، ونادي التربية، أو غيرها من النوادي، وهكذا شهد النسيج الجماعي بموازاة مع هذا الفعل النسوي داخل الجمعيات تأسيس مجموعة من النوادي المستقلة التي اضطلعت بتسييرها وإدارتها بعض النسوة مثلما هو الحال بالنسبة إلى "نادي البديل الثقافي" و"النادي النسوي بأسا" و"نادي التلميذة للتواصل الثقافي"...

الأول منهما على تتبع نشاط المرأة الحسانية من خلال مشاركتها في العمل الجماعي، أما المبحث الثاني فسنخصصه للحديث عن حجم وتجليات هذا النشاط النسوي في مجال التعاونيات.

1. نشاط المرأة الحسانية في العمل الجماعي:

لقد شكل العمل الجماعي مجالا خصبا لاستقطاب المرأة وانخراطها فيه، وذلك بالنظر إلى ما يتيحه هذا الأخير من إمكانات هامة للفعل والمشاركة والاشتغال، وفي هذا السياق أقدمت المرأة الحسانية بمنطقة أسا - على غرار قريناتها في باقي المناطق المجاورة - على الانخراط في العمل الجماعي بكل دينامية تبعا لميولاتها وانشغالاتها المتعددة الثقافية والاجتماعية والمهنية سواء إلى جانب الرجل أو انحصارا على رفيقاتها من النسوة. ولئن كنا نسجل بالمناسبة حضورا مهما للمرأة الحسانية في العمل الجماعي بأسا، فإنه لا بد من التأكيد على أن انخراطها فيه لم يكن بالأمر القديم، بقدر ما يعود إلى أواخر منتصف العقد الأخير، ولعل ذلك راجع أساسا على حادثة الإقليم (1991) وتأخر فعل التمدن، إذ أنه لم تشهد المنطقة ميلادا لأي جمعية إلا في غضون سنة 1992⁽¹⁹⁾، حيث ظهرت أول جمعية محلية، لكن ذلك لا يعني أن المرأة الحسانية بهذه المنطقة لم تكن لديها ميولات أو اهتمامات جمعية في بعض المجالات من أنشطتها اليومية والشبه يومية، وإنما نقصد تحديدا العمل الجماعي المنظم الذي يستند إلى الثابت القانوني المتعارف عليه عند الجميع في القانون المنظم للحريات العامة بصفة عامة وتأسيس الجمعيات بصفة خاصة.

وعليه تكون بداية انخراط المرأة الحسانية بأسا في العمل الجماعي قد اتخذت مسارات خاصة،

لقد أسهمت هذه النوادي بدرجة عالية في إبراز تموقع المرأة في العمل الجماعي، والرفع من مستوى فكرها ودينامية أدائها، حيث أصبحت ذات حضور فاعل ومتميز، ولعل هذا ما سيشجعها لاحقا على التفكير في توسيع دائرة اهتماماتها وإطاراتها التنظيمية (النوادي) في اتجاه خلق جمعيات نسوية خاصة.

* اتجاه الجمعيات النسوية: وهو خيار المرحلة التي انفردت فيها المرأة بجنسها من أجل استقطاب قرباناتها واستثمار طاقتها الخلاقة فيما يجعلهن رافدا حقيقيا من روافد العمل الجماعي العام، ورقما صعبا لا محيد عن وضعه في معادلة الحساب، بيد أن الملاحظ أن ميلاد هذه الجمعيات لم يظهر إلا خلال بداية السنوات العشر الأخيرة (2000/2011) وقد جاء في سياق بعض الظروف الخاصة التي أطرتها بعض الشعارات المرحلية من قبيل التنمية المستدامة، وخطة إدماج المرأة، والمبادرة الوطنية للتنمية البشرية، فضلا عن الرغبة في فرض الذات والتخلص من التهميش والمييز اللذين ظلا جاثمين على حياة وفكر المرأة الحسانية بالمنطقة.

بيد أن هذه الخيارات الجديدة أو الاتجاهات المتعددة التي اتخذها حضور المرأة الحسانية في العمل الجماعي ودينامية النسيج، والذي يعبر عن حركية تنامي وعيها الجماعي اتجاهاته واختلاف لم يكن لينحصر في مجال معين أو في ميدان خاص إلا عند بداية ظهور تأسيس الجمعيات، وهذا مما يفيد ويؤكد على أن اشتغال المرأة الحسانية قد هم مجموعة من المجالات المختلفة الثقافية والاجتماعية والرياضية والفنية والاقتصادية/التنمية.

وسنحاول فيما يلي تقديم لمحة موجزة عن بعض تجليات مساهمتها في هذه المجالات:

● **المجال الثقافي**: لقد ساهمت المرأة مساهمة كبيرة في تأسيس عدد من الجمعيات الثقافية التي أثرت الساحة المحلية بعطاءاتها وإنتاجاتها الإبداعية في مختلف صنوف ومجالات الثقافة، حيث عنيت بالثقافة الشعبية الحسانية من خلال تأسيس جمعيات لحماية هذه الثقافة وموروثها المهم والمتنوع، علاوة على القيام ببعض الأنشطة الموازية في بعض النوادي المهمة بالمرشح والشعر والكتابة السردية (القصصية والروائية) والفن التشكيلي، فاحتضنت في هذا الباب بعض الملتقيات (الأسابيع والأيام الثقافية) وكذا عددا من العروض والندوات الإشعاعية المهمة، ولعل من أهم هذه الجمعيات التي تعتبر رائدة في هذا الاتجاه نذكر: "جمعية الشعاع للثقافة" المؤسسة بتاريخ 08 مارس 2000، و"جمعية تيجزرت النسوية" لحماية الثقافة الشعبية المؤسسة بتاريخ 22 أكتوبر 2002، و"جمعية التعليم الأولي للتربية وتنشئة الطفل"، وجمعية "المستقبل للثقافة".

● **المجال الاجتماعي**: وقد كان حضورها فيه قويا، حيث ارتكزت جهودها على الاهتمام بالمجتمع وبعض أموره والقضايا المنتشرة فيه، وذلك من خلال تجنيد طاقاتها وإمكانياتها في سبيل تعزيز حضورها وتقوية مكانتها داخله، باعتبارها عنصرا مسكونا بهوس التربية وهاجس التنشئة وفعل الخير إزاء بعض أفراد المجتمع على اختلاف انتماءاتهم القبلية والاجتماعية (الطبقية) والعمرية⁽²⁰⁾.

وفي هذا السياق نسجل حضورا ملحوظا للمرأة في العمل الجماعي ذي الصبغة الاجتماعية كالعناية

بالأيتام وذوي الاحتياجات الخاصة مثل "جمعية باني" لرعاية الأيتام، و"جمعية الأمل" للمعاقين، وكالعناية بالمطلقات والأرامل مثل "جمعية الأيتوسية" لأرامل الشهداء والمطلقات، أو كذلك المهتمة ببعض القضايا والأمور المرتبطة بالتضامن ومحاربة الأمية وغيرها مثل جمعية "النور" الإحسانية.

● المجال الرياضي: لم يكن هذا المجال من صميم اهتمام المرأة الحسانية الخاص نظرا لطبيعة الثقافة السائدة في المجتمع، لكنه خلال السنوات الأخيرة وبعد ظهور بعض الانشغالات الرياضية والأجواء الجديدة المشجعة، انصرف اهتمام المرأة نحو الانخراط في المجال الرياضي، سواء تعلق الأمر بميدان العدو الريفي أو بميدان ألعاب كرة القدم وكرة اليد والسلة، والكراتي والتكوين الجسماني.

● المجال الفني: لا يخلو هذا المجال أيضا من حضور للمرأة الحسانية، غير أن وجود جمعيات خاصة يبقى محتشما إن لم نقل غائبا على وجه الإطلاق، إذ يظل عملها نسبيا - في هذا الميدان - محصورا داخل بعض الجمعيات الذكورية أو الفرق الغنائية، ومن أهم تجليات هذا الحضور، انخراطها في بعض الفرق المسرحية كجمعية "گلّاع" للفن المسرحي، وجمعية "الريشة" للفن التشكيلي، وجمعية فن الصراميك كجمعية "منتدى التأهيل النسوي"، والطرز وتتميق بعض المصنوعات الجلدية أو اليدوية بشكل عام كجمعية "الراحة" لأعمال الاجتماعية والتراث والصناعة التقليدية".

● المجال الاقتصادي / التنموي: وقد حظي هو الآخر بمشاركة نسوية مهمة تجسدت في انبثاق عدد من الجمعيات ذات التوجه الاقتصادي

والتنموي والتي استطاعت أن تديرها وتستثمر فيها إمكانياتها وقدراتها الاقتراحية الخلاقة، وذلك من خلال تكييف مجالاتها مع طبيعة اهتماماتها والأدوار التي كانت ولا تزال تلعبها في محيطها الاجتماعي، اعتبارا لكون المرأة عنصرا مهما يتقاسم الشأن الاقتصادي والتنموي مع الرجل بنوع من التوافق والاشتراك، ولعل من أهم الجمعيات النسوية النشطة في هذا الميدان نذكر: جمعية "لبيرات" في مجال الصناعة التقليدية، وجمعية "الطلحة" لتربية الأغنام في المجال الفلاحي، وجمعية "أصول" في مجال النسيج وجمعية "الإبرة الذهبية" و"الأنامل" في مجال الخياطة والملابس الجاهزة، وجمعية "صالونات الحلاقة" النسوية في مجال الزينة والتزين.

2. نشاط المرأة الحسانية في التعاونيات:

قد لا نجافي الحقيقة إذا قلنا أن العمل التعاوني يكتسي أهمية بالغة في حياة المرأة عموما والحسانية على وجه الخصوص، ذلك أنه يعد من صميم نشاط المرأة واهتماماتها في مختلف مناحي تدبير شؤون الحياة، بحيث يظل الإطار العام الذي تنمأى فيه جهودها وجهود قريناتها إزاء اشتغالهن أو قيامهن ببعض الأنشطة داخل "فريغ" أو الحي سواء زمن الترحال والبدواة أو زمن الاستقرار والتقدم⁽²¹⁾.

غير أنه مع ظهور التجربة التنموية بالمنطقة، أخذ العمل التعاوني لدى النساء يتخذ قالباً جديداً قوامه التأطير التنظيمي المؤسس (هيئات جمعوية)، ويهم مجالات جديدة أفرزها واقع الحياة المتغير وشروطه الجديدة التي وضعت المرأة على المحك، الأمر الذي سيفتح آفاقاً جديدة لمشاركة المرأة واندماجها في مسلسل هذا الحراك الاجتماعي

والاقتصادي، وهو ما سيدفع بها إلى تأسيس بعض التعاونيات النسوية في بعض المجالات لمواكبة هذا المناخ الجديد توظيفا لإمكاناتها، والرغبة في الرفع من مكانتها ومستوى عيشها وأدوارها في المجتمع المحلي.

وسنحاول في هذا المبحث تبين بعض تجليات حضور ومشاركة المرأة الحسانية في المجال التعاوني من خلال الوقوف عند بعض النماذج المختارة من هذه التعاونيات النسوية بأسا، وذلك بحسب مجالات اهتماماتها.

أ. في مجال النسيج:

يعد المجال النسيجي من أهم المجالات التي تنشط فيه التعاونيات النسوية على اختلافها، ولعل مرد ذلك راجع إلى كونه من أهم الأنشطة التي ظلت النساء بالصحراء تمتعنه على نطاق واسع. فالخيمة هي مسكن الإنسان البدوي الصحراوي، ذات شكل بديع تبهر الأنظار وذلك لما فيها من إتقان في كيفية صناعتها فيعجب الناظر إليها ويشكك في نسجها يدويا، إلا أنها من صنع يد المرأة الحسانية. تنسج وحدات الخيمة ومكوناتها الأساسية من أشرطة من شعر الماعز الأسود تسمى "فُلْجَة" ينضاف إليها صوف الضأن الأسود أو وبر الإبل الأحمر، حيث يتم نسجها إما من طرف ربة البيت بمعية بناتها أو قريباتها، أو يتم تكليف سيدة أخرى مقابل أجر مادي أو عيني، وخياطتها بكيفية متلاصقة ومرتبطة حسب الشكل المطلوب. وتتم الخياطة بكيفية جماعية نظرا لما تتطلبه من جهود، وتستدعى لهذه الغاية نساء متمرسات في يوم خاص أو يومين حسب الحاجة وهو يوم يتسم بالاحتفالية⁽²²⁾.

ولعل من أبرز التعاونيات النشيطة في مجال النسيج نجد تعاونية "الغوراريات" لنسج الخيام الأعمال اليدوية، تأسست على يد مجموعة من النسوة المهتمات بمهنة نسج الخيام والمصنوعات النباتية، بهدف إيجاد دخل جماعي لهن، يساهم في تحسين أوضاعهن الاجتماعية وموردهن الاقتصادي، ويستفيد من دعم الدولة في هذا الباب وتحديد دعم وإمكانات المبادرة الوطنية للتنمية البشرية المتعلق بالمشاريع الصغرى.

جاء تأسيس هذه التعاونية استجابة لميولاتهن وخبرتهن التقليدية في هذا المجال (تأطيرهن البدوي) باعتبار هذا النشاط من أهم الصناعات الحرفية التي تجيد نساء المنطقة امتنانها على نطاق واسع، فضلا عن الأهمية البالغة التي يحظى بها هذا النوع من الصناعات الموروثة جيلا بعد جيل، والذي يشكل قوام حياة المجتمع المحلي المتميز بحالتي الترحال الدائم والاستقرار النسبي. بيد أن تأسيس هذه التعاونية النسائية قد كان بتاريخ 27 يونيو 2007 بأسا، وذلك بهدف تحقيق جملة من الأهداف التي سطرته في قانونها الأساسي، حيث أشارت فيه إلى أن حرفة نسج الخيام تعتبر من أعرق وأقدم المهن التي كانت تمارس من قبل المرأة البدوية، بحيث أن معظم الرجل كانوا يعتمدون بشكل أساسي على هذا النوع من الخيام الذي يقاوم طبيعة المناخ القاسية، غير أن هذه الحرفة التقليدية اندثرت بعد أن أصبح بعض سكان الرجل يعتمدون على خيام مصنوعة من الثوب، أو الاستقرار بالمدينة وترك الماشية للراعي.

وهكذا استجابة لهذا التطور الذي تعرفه الظرفية اجتمعت هاته الصناعات في إطار تعاونية لتوسيع

نشاطا لعدد من التعاونيات التي احتضنها الإقليم، ويعتمد هذا المنتج على مواد أولية محلية مثل القمح، الشعير والذرة، وتستعمل كذلك أدوات تقليدية محلية مثل "الطبق"، "الرحى" و"الكسكاس"، وبوسائل تقليدية، تنتج هذه التعاونيات الكسكس المميز للمناطق الصحراوية بمكوناته وجودته العالية.

ومن هذا المنطلق أخذنا نموذجا لإحدى هذه التعاونيات التابعة لجمعية منتدى البديل الثقافي التي تنتشر فروعها بجميع مدن وأقاليم جهة كلميم السمارة سابقا، ويتواجد مقرها بالضبط بمدينة السمارة، إنها تعاونية "الجوهرة الذهبية"، المؤسسة بتاريخ 09 يوليوز 2009، ويبلغ عدد المنخرطات بها تسعة⁽²⁴⁾. وما من شك أن اسم "الجوهرة الذهبية" يحمل أكثر من دلالة، والظاهر أن اختيار هذا الاسم إنما هو من قناعة راسخة لأصحاب هذه التعاونية، لأن الكسكس جزء لا يتجزأ من التراث، والتراث جزء من الهوية الحسانية، ولا يستقيم فصل هذا التراث عن الهوية، فهو شيء فريد وثنمين ونفيس في نظر الإنسان الحساني.

تتوفر تعاونية الجوهرة الذهبية على مطحنة لطحن المواد الأولية (الشعير، الذرة، القمح) وذلك توفيراً لمصاريف الطحن، ولا تهدف هذه التعاونية إلى إنتاج الكسكس فقط، بل تنتج "دقيق المكلي" و"الغوفية"، التي تلقى إقبالا مهما محليا، جهويا ووطنيا، إذ يتم تسويقها إلى باقي المناطق والأقاليم، إضافة إلى تصديرها إلى جزر الكناري وإسبانيا، وذلك بحكم علاقة الشراكة التي تجمع جمعية منتدى البديل ببعض جمعيات وتعاونيات هذه البلدان. كما وضعت هذه التعاونية ضمن أولوياتها تكوين المتعاونات بشكل مستمر في

وتطوير خبراتهن في ميدان النسيج والقيام بالعمل الجماعي، وتمويل الأعضاء بالمواد الأولية والأدوات وتسويق المنتج، وبالتالي تحسين ظروفهن الاقتصادية والاجتماعية إلى جانب حصر مشاكل المهنة والبحث عن الحلول الناجمة لها، والمساهمة في تنشيط الاقتصاد المحلي، وبنوي المشروع التعاوني كذلك إلى القيام بتكوين كل الراغبات في تعلم هذه الحرفة وتوفير فرص عمل. وبناء على ما تقدم فإن هذه التعاونية تهدف ما يلي⁽²³⁾:

- استثمار المؤهلات المحلية، وما تتوفر عليه المنطقة من خامات ومواد أولية (كصنوف الوبر، النباتات) في بلورة وإنتاج بعض المصنوعات المرتبطة أو المستخلصة من هذه الأخيرة.

- ضمان نوع من الدخل القار لبعض المتعاونات للمساهمة في تحسين أوضاعهن الاقتصادية والاجتماعية.

- تلبية حاجات السوق والطلب المتزايد حول نسيج الخيام، وبعض المصنوعات النباتية كحصير السمار وغيره من المشغولات اليدوية والمنزلية المختلفة.

- الحفاظ على الصناعة النسيجية وتحديد نسيج الخيام، وبعض المشغولات اليدوية باعتبارها جزء من الموروث الثقافي المادي المهم، والآيل نحو الاندثار نتيجة للتمدن وحركية الاستقرار.

ب. في مجال إعداد الكسكس:

كان للتعاونيات دور مهم في ثمين المنتجات المحلية وتسويقها محليا ووطنيا، حيث ظهرت عدة تعاونيات تشتغل على المواد الأولية خاصة تلك ذات المصدر الفلاحي مثل العسل والحبوب وغيرها. وفي هذا الإطار شكل "إعداد الكسكس"

تقنيات الإعداد وآلياته ووسائله، وذلك لضمان نوع الجودة في المنتج، والقدرة على منافسة التعاونيات العاملة في هذا المجال.

. انعكاسات المشاركة التنموية وتطلعات المرأة الحسانية بأسا:

من المؤكد تماما أن انخراط المرأة في محيطها الاجتماعي الجديد ومشاركتها في مختلف المجالات التنموية، قد ساهما في تشكيل تجربة اجتماعية جديدة لديها تقوم على التميز والتفرد بالمقارنة مع وضع حالتها في الزمن الماضي.

وسنحاول في هذا الفصل لفت الانتباه إلى أهم الآثار والانعكاسات المتولدة عن هذه المشاركة وذلك من خلال مبحثين أساسيين، سنفرد الأول منها للحديث عن الانعكاسات الاجتماعية والاقتصادية، فيما سنخصص الثاني لتناول بعض معوقات العمل التنموي وتطلعات المرأة الحسانية بمنطقة أسا.

1 . انعكاسات المشاركة التنموية على حياة المرأة الحسانية بأسا:

لا شك أن اتساع دائرة انخراط ومشاركة المرأة الحسانية بمنطقة أسا في العمل الجماعي والتعاوني قد صاحبه تنام ملحوظ في وعيها الاجتماعي وهو ما مكنها من أن تضطلع بأدوار رائدة ومهمة في المجتمع الحساني، حيث تقوت بفعل ذلك مكانتها وتعزز حضورها بشكل أضحت فيه تتربع على عرش مختلف شرائحه، فالناظر في حجم وطبيعة هذه المشاركة يكتشف أنها كانت لها انعكاسات اجتماعية واقتصادية واضحة على حياة المرأة، سواء فيما يتعلق بواجبها تجاه بيتها وعائلتها خاصة أو تجاه المجتمع الذي تنتمي إليه بشكل عام.

وعليه فإن من أهم الآثار والانعكاسات الاجتماعية والاقتصادية التي حصلت إزاء حياة المرأة يمكن تلخيصها في المحاور التالية:

* وعي المرأة بالحقوق والواجبات: لقد أصبحت المرأة تدرك أنها تماثل الرجل تماما في الحقوق والواجبات، ومن ثمة يتعين أن تتمتع بحقوقها كاملة بما يحفظ لها كرامتها ووجودها، وأن تضطلع بتمثل واجباتها على الوجه الصحيح دون أي تهاون، وهكذا تمكنت من الانتصار على بعض مظاهر تلك العقلية المتحجرة وتحريها من روح الجمود العتيق الذي كانت تتحاز فيه إلى الرجل دونما سواه في تمليك بعض الحقوق واحتكارها، حيث أصبح المجتمع الحساني "يحفظ لها خيارها الاجتماعي في اختيار الزوج مثلا الذي تريد ورفض رفضا قاطعا ارتباطها بمن لا تريد"⁽²⁵⁾.

كما لم تبق واجبات المرأة محصورة في أشغال المنزل أو البيت فحسب، بل تجاوزت ذلك إلى المشاركة في العمل العام بكل ميادينه وفي مختلف القطاعات الحكومية والشبه حكومية، وهكذا أضحت المرأة موظفة في بعض الإدارات وعاملة في بعض المصالح وناشطة في مختلف الجمعيات والهيئات ومربية، من هنا أخذت المرأة تنتزع احترام المجتمع لها وتفرض حضورها في حياته الاجتماعية بشكل لافت للنظر. وعلاوة على ذلك فالمرأة أيضا استطاعت أن ترفع من سقف وعيها العلمي والأكاديمي، حيث أصبحت تتمتع بحق متابعتها للدراسة الثانوية والجامعية في المؤسسات النظامية بعدما كان ذلك ممنوعا، وهذا ما يخفض من نسبة الأمية والجهل لديها.

* تغير نظرة المجتمع للمرأة: إن المرأة الحسانية بفعل الدينامية العامة التي تمتعت بها في الحراك الاجتماعي بأسا وما امتازت به من فاعلية ورأسمال أخلاقي، تمكنت من أن تشكل لنفسها صورة وتجربة جديدة تقطع مع كل التصورات التي ظلت تحكم نظرة المجتمع إليها، والتي كانت تتميز في الغالب بنوع من الدونية والإقصاء والاستخفاف.

فبعدما كانت محشورة في البيت وتحت أنظار المراقبة والرصد منهمكة بشكل روتيني على اعتيادية أشغال المنزل اليومية، أضحت اليوم تمارس الأعمال خارجه بشكل طبيعي دون أن تواجه أي صعوبات، وتلقى تشجيعا من طرف الجميع مما يحفزها على مواصلة العطاء وبذل المزيد من العمل.

* الرفع من قدرتها في المشاركة في اتخاذ القرارات والتمكن من آليات التخطيط من أجل تحسين وضعيتها الاقتصادية عن طريق تحقيق دخل مادي قار يضمن لها ولعائلتها العيش الكريم من جهة، ونزع الاعتراف بالعنصر النسوي "المرأة الحسانية" كشريك أساسي في كل معادلة تنموية بالإقليم من جهة ثانية في الوقت الذي كان فيه وضع المرأة ملفوفا بالنظرة الدونية، وتكريس ثقافة العزلة والاستهلاك بعيدا عن الإنتاج⁽²⁶⁾.

2 . معوقات العمل التنموي وتطلعات المرأة الحسانية بأسا:

تعتبر الموارد المالية والبشرية هي التي توفر الخدمات الأساسية للنساء، وهذا يمكن إرجاعه إلى أن جل المشاريع التنموية النسوية تنصب في مهن حرفية تقليدية مثل صناعة النسيج (الخيام)، إذ أن المستفيدات لهن دراية وخبرة بالأعمال التي يزاولنها

داخل التعاونيات النسوية، كما أننا نجد إقبالا كبيرا من طرف الساكنة المحلية وبعض الاقاليم المجاورة (كلميم، طانطان، العيون) على المنتج المحلي لأسا خاصة في المعارض والمواسم السنوية التي تنظمها المنطقة⁽²⁷⁾، إلا أنه رغم كل هذا فإن ضعف الوعي التعاوني في أوساط الحرفيين، وقلة الخبرة والتكوين يولد مشاكل وإكراهات تؤثر على القطاع التنموي بالمنطقة.

وعموما فإن وضع حد للتردي الذي يعرفه المجال التنموي يستهدف سن سياسة تنموية هادفة تشمل كل الأبعاد، البشرية والاجتماعية والاقتصادية، وتتطلب مخططات بعيدة ومتوسطة المدى تجند لها كل الإمكانيات للإنجاز والتنفيذ، وتحشد لها جميع وسائل الدعم والمساندة من تعبئة الفاعلين، وإشراك المعنيين في المتابعة والمراقبة، والحماس لإنجازها.

ورغم ما سبق ذكره، فإن القطاع التنموي بمنطقة أسا يحاول قدر الإمكان والمستطاع الاشتغال في مجالات متعددة، مثل توفير المستلزمات الأساسية، وفك العزلة عن العالم القروي، والاعتناء بالبنيات التحتية، وإنشاء بعض المرافق الاجتماعية التي تفتح المجال أمام المرأة الحسانية للدخول في العمل التنموي (النوادي مثلا...)، مما يبرز النضج الذي أصبحت تتميز به المرأة داخل مجتمع أسا، لتكون بذلك قد أكدت على ضرورة تجاوزت عقلية المجتمع الذكوري متوسلة في ذلك على خبرتها الفنية ومهارتها الواعدة التي تحمل من المشروعية المزيد، وكل هذا لا محالة سيعزز من مكاناتها داخل المجتمع ويقوي شخصيتها ويضمن لها الاستقرار والأمان.

من هنا إذن يبرز دور المرأة الحسانية بمنطقة أسا كفاعل ومتفاعل في التنمية المحلية وتدبير الشأن

المحلي، إلا أنه رغم كل الإنجازات التي تم تحقيقها تبقى مشاركتها التنموية سواء داخل الجمعيات أو التعاونيات لم تصل بعد إلى المرامي والأهداف المسطرة، وذلك راجع إلى العديد من المعوقات والإكراهات لعل أبرزها:

❖ الجانب المادي: بما في ذلك ضعف الموارد المالية، وقلة المواد الأولية، ضعف السوق المحلية، التي لا تشجع على مضاعفة الإنتاج، كما أن بعد الإقليم عن أهم المناطق التجارية شكل عائقا كبيرا أمام تسويق المرأة لمنتجاتها.

❖ الجانب الذاتي: حيث نجد أن ضعف التأطير وانتشار الأمية بين صفوف المتعاونات يعد من أكبر الإكراهات التي تجعل نشاط المرأة الحسانية بالمنطقة لا يرقى إلى المستوى المطلوب في ظل غياب آليات المصاحبة، والمتابعة، وتنظيم دورات تكوينية في مختلف المجالات، والجوانب المتعلقة بالتعاونيات (التسيير الإداري، التدبير المالي، تسويق المنتج...) والتي من شأنها أن تفتح آفاقا أرحب نحو تطوير وتأهيل المرأة، ومن ثم تطوير منتجاتها بعيدا عن الطرق التقليدية التي لا زالت حليفة الإنتاج من داخل التعاونيات المحلية.

. خاتمة:

لقد شكلت تجربة التنمية التي دشنها المغرب خلال السنوات الأخيرة من الألفية الماضية، وما صاحبها من استراتيجيات وتخطيطات متعددة حافزا مهما شجع المرأة بشكل عام والحسانية بشكل خاص على المشاركة والانخراط فيها بكل تلقائية وفعالية غير مسبقة، فاستطاعت بذلك أن تتبوأ مكانة رائدة في مختلف مستويات التنمية المحلية، ومن

ثمة كسر الحاجز الذي ظل يحد من حراكها الاجتماعي وفعاليتها الاقتصادية ومشاركتها الدينامية في المجال التنموي الاقتراحية منها والتفعيلية.

ورغم كل ما سبق ذكره إلا أن الحديث عن آفاق وتطلعات المرأة الحسانية بالصحراء في مختلف الجوانب المتعلقة بالتنمية ليجعلنا نستحضر إراداتها وعزيمتها اللتان شكلتا على الدوام الدافع نحو ضرورة انخراطها الإيجابي في التنمية الشاملة في أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ولتحقيق ذلك أصبح من اللازم توفير الوسائل الثقافية والمادية والتعليمية حتى تتمكن المرأة من تحقيق تطلعاتها، ورسم معالم واضحة تكون فيها مقارنة مساهمة مباشرة في الإقلاع بالاقتصاد المحلي نحو

. الهوامش:

1 - Taine Cheikh Catherine, Dictionnaire Hassanya Française, Tour 2, Geuthner, 1998, p. 76.

2 . زكي محمد إسماعيل، التنمية بين المفاهيم الاجتماعية والقيم الأخلاقية، مجلة كلية العلوم العربية، العدد 1400، جامعة بن سعود، الرياض، ص. 150.

3 . ابن منظور، لسان العرب، الطبعة الثالثة، مطابع فوست تكنوبرس الحديثة، بيروت، 1999، ص. 725.

4 . محمد محمود الجوهري، علم اجتماع التنمية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، 2009، ص. 140.

5 . نفسه، ص. 142.

6 . كمال حمدي أبو الخير، النظم التعاونية في الدول المختلفة، المطبعة العالمية، القاهرة، 1995، ص. 153.

7 . الفصل الأول من ظهير الحريات العامة الصادرة بتاريخ 15 نونبر 1958 حسب ما وقع تغييره وإتمامه.

- 8 . الظهير الشريف رقم 226-83-1 المؤرخ بـ 9 محرم 1405 / 5 أكتوبر 1984، وقانون رقم 83-24 المتعلق بتحديد النظام الأساسي العام للتعاونيات.
- 9 . مصطفى ناعيمي، الصحراء من خلال بلاد تكتة: تاريخ العلاقات التجارية والسياسية، منشورات عكاظ، الرباط، 1988، ص. 54.
- 10 . حسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص. 108.
- 11 - Jacques Meunié, Le Maroc Saharien des origines à 1670, Volume I, Paris, 1982, p. 194.
- 12 . أبو عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة أمريكا والشرق، باريس، 1965، ص. 165.
- 13 . إبراهيم الحيسن، المرأة في التراث الشفاهي الحساني من موضوع للإبداع إلى ذات مبدعة، مقالة في كتاب: تمثيلات المرأة في المتخيل الشعبي والتراث الشفاهي المغربي، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 154، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس أكاد، الرباط، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2008، ص. 147.
- 14 . إبراهيم الحيسن، التراث الشعبي الحساني: العناصر والمكونات، المطبعة والوراقة الوطنية، الطبعة الأولى، مراكش، 2004، ص. 78.
- 15 . محمد بن محمذن، المجتمع البيضاوي في القرن التاسع عشر: قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2001، ص. 164.
- 16 . وكالة التنمية الاجتماعية، المنسقية الجهوية لجهة كلميم السمارة، 2016.
- 17 . المندوبية السامية للتخطيط، جهة كلميم واد نون، 2016.
- 18 . محمد شرايمي، تنمية مجتمع الصحراء بين سياسة الدولة وإمكانات المجتمع المحلي، مجلة أبحاث ودراسات حول الصحراء، العدد 1، طوب بريس، الرباط، 2009، ص. 89.
- 19 . وكالة الإنعاش والتنمية الاقتصادية والاجتماعية لأقاليم الجنوب، جهة كلميم واد نون، 2016.
- 20 - Odette du Puigaudeau, Art et Coutumes des Maures, Hespéris Tamuda, volume 4, 1968, p. 142.
- 21 . محمد الغربي، الساقية الحمراء ووادي الذهب، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1979، ص. 165.
- 22 . الطالب بوبا لعتيك ماء العينين، شذرات من الأدب الحساني، مركز طارق بن زياد للدراسات والأبحاث، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1999، ص. 27 - 28.
- 23 . القانون الأساسي للتعاونية.
- 24 . مكتب تنمية التعاون، كلميم، 2015.
- 25 . رضا إبراهيم، خطابات عصر النهضة، مقالة في كتاب نقطة التحول الأكبر في مقارنة قضايا المرأة المغربية والعربية، سلسلة ندوات ومحاضرات رقم 154، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس أكاد، الرباط، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2008، ص. 10.
- 26 . إبراهيم الحيسن، الشفهي والبصري في الموروث الأدبي والجمالي الحساني، منشورات وزارة الثقافة، مطبعة دار المناهل، الرباط، 2010، ص. 176.
- 27 . محمد شرقي، التحولات الاجتماعية بالمغرب من التضامن القبلي إلى الفردانية، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2009، ص. 137.
- . الببليوغرافيا:
- . ابن منظور، لسان العرب، الطبعة الثالثة، مطابع فوست تكنوبرس الحديثة، بيروت، 1999.
- . إبراهيم الحيسن، التراث الشعبي الحساني: العناصر والمكونات، المطبعة والوراقة الوطنية، الطبعة الأولى، مراكش، 2004.
- . إبراهيم الحيسن، الشفهي والبصري في الموروث الأدبي والجمالي الحساني، منشورات وزارة الثقافة، مطبعة دار المناهل، الرباط، 2010.
- . إبراهيم الحيسن، المرأة في التراث الشفاهي الحساني من موضوع للإبداع إلى ذات مبدعة، مقالة في كتاب: تمثيلات المرأة في المتخيل الشعبي والتراث الشفاهي المغربي، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 154، منشورات كلية الآداب والعلوم

- الإنسانية، جامعة محمد الخامس أكادال، الرباط، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2008.
- . أبو عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة أمريكا والشرق، باريس، 1965.
- . الطالب بوياء لعتيك ماء العينين، شذرات من الأدب الحساني، مركز طارق بن زياد للدراسات والأبحاث، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1999.
- . حسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.
- . رضا إبراهيم، خطابات عصر النهضة، مقالة في كتاب نقطة التحول الأكبر في مقارنة قضايا المرأة المغربية والعربية، سلسلة ندوات ومحاضرات رقم 154، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس أكادال، الرباط، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2008.
- . زكي محمد إسماعيل، التنمية بين المفاهيم الاجتماعية والقيم الأخلاقية، مجلة كلية العلوم العربية، العدد 1400، جامعة بن سعود، الرياض.
- . كمال حمدي أبو الخير، النظم التعاونية في الدول المختلفة، المطبعة العالمية، القاهرة، 1995.
- . محمد الغربي، الساقية الحمراء ووادي الذهب، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1979.
- . محمد بن محمذن، المجتمع البيضاوي في القرن التاسع عشر: قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2001.
- . محمد شرايبي، تنمية مجتمع الصحراء بين سياسة الدولة وإمكانات المجتمع المحلي، مجلة أبحاث ودراسات حول الصحراء، العدد 1، طوب بريس، الرباط، 2009.
- . محمد شرقي، التحولات الاجتماعية بالمغرب من التضامن القبلي إلى الفردانية، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2009.
- . محمد محمود الجوهري، علم اجتماع التنمية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، 2009.
- . مصطفى ناعيمي، الصحراء من خلال بلاد تكتة: تاريخ العلاقات التجارية والسياسية، منشورات عكاظ، الرباط، 1988.
- . الظهير الشريف رقم 1-83-226 المؤرخ ب 9 محرم 1405 / 5 أكتوبر 1984، وقانون رقم 83-24 المتعلق بتحديد النظام الأساسي العام للتعاونيات.
- . الفصل الأول من ظهير الحريات العامة الصادرة بتاريخ 15 نونبر 1958 حسب ما وقع تغييره وإتمامه.
- . المندوبية السامية للتخطيط، جهة كلميم واد نون، 2016.
- . وكالة الإنعاش والتنمية الاقتصادية والاجتماعية لأقاليم الجنوب، جهة كلميم واد نون، 2016.
- . وكالة التنمية الاجتماعية، المنسقية الجهوية لجهة كلميم السمارة، 2016.
- . مكتب تنمية التعاون، كلميم، 2015.
- . Jacques Meunié, Le Maroc Saharien des origines à 1670, Volume I, Paris, 1982.
- . Odette du Puigadeau, Art et Coutumes des Maures, Hespéris Tamuda, volume 4, 1968.
- . Taine Cheikh Catherine, Dictionnaire Hassanya Française, Tour 2, Geuthner, 1998.